العوائق والعوائد والعلائق (2)

إن الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشر الأمور مُحدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار،

_كنَّا قد تحدثنا في اللقاء السابق عن الأسباب التي تحول بين العبد وبين الوصول إلى رب العالمين وهي (العلائق_العوائد_العوائق)

وقد انتهينا من الحديث عن العلائق ويتبقى لنا اليوم أن نتحدث **عن العوائد والعوائق.**

أولًا: العوائد

فما المقصود بها؟

هي كل ما ألفه الناس واعتادوه من الأوضاع والعادات التي جعلوها بمنزلة الشرع بل أنها أفضل من الشرع لديهم.

_فهذه العادات والعوائد التي اعتادها الناس أصبحت لديهم أفضل من شرع الله عز وجل ومما جاء به رسول الله وقد يصل الأمر بهم إلى معاداة مَن

يُخالف هذه العوائد أو يُنكر عليهم اتباعهم لها، فتكون موالاتهم ومعاداتهم على أساس مَن يتبع ومَن لا يتبع هذه العادات والعوائد وليس هذا فحسب بل قد يتعدى الأمر إلى عقاب المُخالف فكيف يُخالف أمور قد نشأوا وتربوا عليها ؟

_ولقد استولت هذه العادات و العوائد على طائفة كبيرة جدًا من المسلمين سواء أكانوا من الدعاة أو من عوام المسلمين كبارًا و صغارًا حتى نشأ الطفل عليها ولا يستطيع أن يُغيرها، وكذلك الكبير لا يستطيع تركها حتى لو علم مدى خطأها لأن العادة أصبحت عندهم غالبة لدرجة أنهم قدموها على ما جاء به النبي ﷺ من الحق، فيُقاتلون ويُناصرون ويُوالون ويُعادون من أجل هذه العادة.

_وتلك مشكلة خطيرة جدًا أن تصبح العادات مقدمة على السنة فهُدمت السنة وحلَّت محلها هذه العادات.

_ومَن يفعل ذلك فقد جعل بينه وبين ربه حجاب من أعظم الحُجُب والعوائق التي تحول بينه وبين الله عز وجل،

_فهذه العادات الممقوتة التي أقامها العباد مقام السنة ووضعوا لها مكانة واستغنوا بها عن سنة رسول الله ﷺ هي من أكبر الموانع التي تحول بين العبد وبين النفوذ إلى الله ورسوله ﷺ

_تنقسم هذه العادات إلى: 1- عادات حرمها الشرع، 2- عادات مباحة ولكنها تعوق العبادة.

أولًا: العادات التي حرمها الشرع واعتادها الناس (حتى لو كان الحكم بحرمتها صريح):

– مثال: من العادات التي سادت في بيوت الكثير من المسلمين اختلاط النساء بالرجال، فالمسألة عند هؤلاء أصبحت مسألة عادية ولو حدث أن أنكر أحد عليهم هذا الأمر فإنهم يتهمونه بالتشدد أو التَّخلُف أو أي اتهام آخر من هذا القبيل وهذا لأنهم ينظرون إلى المسألة(مسألة الاختلاط)على إنها شيء معتاد (عادي)،

_فلا إشكال مُطلقًا في جلوس الرجل مع المرأة التي لا تحل له، والمرأة تختلط بمجموعة من الرجال الغير محارم لها فتجلس معهم مرتدية أي ملابس لا إشكال أيضًا في ذلك، ومَن ينتقد هذا الأمر يكون الرد عليه: أما زِلْتُمْ تتحدثون في هذا الأمر إلى الآن ألا تدرون أن من البشر مَن صعد إلى القمر، ويُسمعون مَن ينتقدهم أن هذا الوضع من العادات والتقاليد والأمور التي وضعت لها قوانين وثبتت في قلوب وعقول الناس فلا يحيدون عنها، حتى أن الطفل الذي نشأ عليها يعتقد أن هذا هو الصحيح وكذا الفتاة الصغيرة تنشأ على أن هذا الأمر عادي، فقد مرت بمراحل حياتها(المدرسة_الجامعة) وهي تختلط بالأولاد ولا إشكال في ذلك لأنها عادة اعتادواعليها منذ الصِغر، وهذه العادة أصبحت عند الناس أهم مما جاء في كتاب الله عز وجل وفي سنة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

_هؤلاء ضربوا بقول الله تعالى في زوجات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عرض الحائط وهُنَّ أطهر النساء قلوبًا وأصفاهم نفوسًا وأحسنهم خلقًا وأكثرهم عبادة وأزهدهم،

يقول الله تعالى فيهن آمرًا للصحابة أن لا يُكلمونهن إلا من وراء حجاب :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53)﴾[الأحزاب]

_هذا خطاب من الله عز وجل يُخاطب به أفضل البشر وأطهر القلوب على الإطلاق وأزهد الناس وأعبدهم وأشرفهم (زوجات النبي ﷺ _أصحابه رضي الله عنهم) هذا هو كلام رب العالمين وليس اجتهاد عالم أو داعي متشدد، فعلينا أن نحذر لأنه أحيانًا تُقال كلمات خطيرة تعليقًا على أوامر الله سبحانه

_قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا﴾ أي مَن كان له عند إحداهنَّ سؤال أو استفسار{فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ} فليكن بينه وبين مَن يسألها منهن حجاب ولا يجوز أن يتكلم معها مباشرةً

_هناك ما يُسمى بقياس الأولى: فإذا كان هذا الخطاب موجه من الله عز وجل إلى الصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء وزوجات النبي ﷺ أشرف نساء العالمين، فمن باب أولى يكون مَن أدنى من الصحابة ومَن أدنى من زوجات

النبي ﷺ في(المنزلة_الطهارة_الشرف_العفة_الزهد) أحق وأولى بهذا الخطاب من هؤلاء

– مثال آخر: ما هي عادات الكثير من المسلمين في الأفراح والحفلات؟

الإنفاق على هذه الحفلات والأفراح: أصبح يتنافس فيه الناس و المسارعة في التباهي والتفاخر والبذخ والإسراف فالحاكم لهم في هذا الأمر هو العادات وكلما زاد المستوى الاجتماعي ارتفاعًا كلما زاد الإنفاق بصورة مبالغ فيها(الملابس _القاعات _الأطعمة_الأشربة_الأثاث_المسكن) كل هذا البذخ والإسراف والمخالفات لم يكن إلا نتيجة العادات، ولا يدري هؤلاء أن هذه العادات تَحُول بينهم وبين الوصول إلى الله سبحانه، بل هي حجاب يمنع من ذلك منعًا شديدًا.

– مثال ثالث: كعدم العدل في العطية أو الهبة، حرمان البنات من الميراث.

فهذه من ضمن العادات التي بثَّت الضغينة في القلوب وأوغرت الصدور وملأتها حقدًا وغلًا وأفسدت العلاقات بين الناس وقطعت الأرحام وانتشر ذلك بين المسلمين عدم العدل في العطية أو الهبة أو حرمان البنات من الميراث، وقد انتشر ذلك في قرًى كثيرة مسألة حرمان البنات من الميراث، فتغضب البنت من فعل أبيها وتحقد على أخيها خاصةً إذا كانت في احتياج إلى المال وحتى لو لم تكن في حاجة إلى ذلك إلا أنه حقها وقد أُعْطِي لغيرها، فالحرمان من الميراث أو عدم العدل في العطية فهذا أيضًا من العادات التي تحول بين العبد وبين الوصول إلى الله تعالى.

– وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، يُحَدِّثَانِهِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ

هَذَا؟» فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَارْجِعْهُ» **أخرجه البخاري(2586)،أخرجه مسلم(1623)**

وفي رواية : قَالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»

- ذهب البشير والد النعمان إلى النبي ﷺ ومعه النعمان فقال البشير للنبي ﷺ: لقد وهبت لابني هذا غلام ليقوم بخدمته، فسأله النبي ﷺ: هل لك من الأبناء غيره فقال: نعم، فقال النبي ﷺ وهل أعطيت لكل أبنائك مثله، فقال:لا

فقال النبي ﷺ: ارجع عن هذه الهبة.

ما حدث يُشير إلى أن: الهبة لها في الشرع ضوابط، فمن كان لديه أبناء ويريد أن يُعطيهم عطية فلا يُفاضل بينهم إن لم يكن هناك داعي شرعي يستوجب التمييز بينهم فلا يجوز أن يميز بينهم في العطاء، ولا يجوز أن يُقال أن الولد يأخذ والبنت تُمنع لأن هذه هي العادات والأعراف التي نشأ الناس عليها،

أما حكم الهبة فهو العطاء بالسوية للولد مثل البنت (وهذا عند جماهير العلماء منهم الشافعي_مالك_أبو حنيفة) فالبنت سواء مع الولد في العطاء الذي يبذله الأب أو الأم في حياتهما أما فيما يخص الميراث فالأمر مختلف.

- مثال: أم على قيد الحياة ولديها من الأبناء خمسة (ثلاثة بنات_واثنين من الذكور) ومعها من المال خمسة آلاف فكم يكون نصيب كل واحد إذا أرادت أن تعطيهم عطية ؟ نصيب كل واحد منهم هو ألف جنيه فيساوي عطاء الولد والبنت وهكذا يكون الأمر في كل شيء وهذا هو العدل في العطاء، فالنبي ﷺ رفض أن يشهد على عطاء ابن دون غيره لأن هذا يُعد

جورًا أي أن في ذلك ظُلمًا للأبناء الآخرين، ولقد كان هذا من العادات التي سيطرت على عقول وأحوال الكثير من الناس ويتصرفون من هذا المنطلق ولا يعنيهم أمر البحث عن أحكام الشرع سواء كان أمرًا إلهيًا أو سنة النبي ﷺ فالمسألة لا تعنيهم.

هذا بالنسبة للعطية والإنسان على قيد الحياة أم بعد الموت فإن الأمر يتحول إلى ميراث وليس عطية وبالتالي يختلف التقسيم فيكون للذكر مثل حظ الأنثيين إذا ما مات أحد الوالدين،

الحاصل: أن الكثير من الآباء والأمهات يُفرقون بين الأبناء في العطاء نظرًا لكون هذا ذكر وهذه أنثى أو لأنهم يفضلون أحدهم على الآخر، يفعلون هذا وهم غير مدركين أن صنيعهم هذا من العوائد التي تحول بينهم وبين الوصول إلى الله عز وجل، وعلى هذا فإننا نرى الأب أو الأم وقد وصل أحدهما إلى سن الستين أو السبعين وبالرغم من ذلك فإن رصيده من العلم أو الطاعة لا شيء فيلقى الله سبحانه يكاد أن يكون صفر اليدين من الحسنات لماذا؟ لأنه يقع في هذه العوائد التي تحول بينه وبين الوصول إلى ربه وللأسف هو لا يفهم هذا.

ثانيا: عادات تُعد من البدع (وهي معصية أيضًا) ولكنها متعلقة بفساد الاعتقاد.

– مثال: **ما يحدث في المآتم:**

أولًا: عند الوفاة يكون الصُّرَاخ والعويل وشق الجيوب وضرب الخدود والدعاء بدعوى الجاهلية (أفعال كانت موجودة في الجاهلية وعندما جاء الإسلام حرمها)، ولكن مازالت بعض هذه الأفعال تُمارس في الكثير من بيوت المسلمين إذا مات إنسان وخاصة لو كان شابًا أو حدثت الوفاة بطريقة مفاجئة وما كل هذا إلا من قبيل العادات فهي في حقيقة الأمر بدع ولكنها متعلقة بالعادات، فقد تعوَّد البعض عند موت أحد وفي أول لحظات

سماع الخبر أو العلم بالأمر أن يرتكب مثل هذه الأفعال لأنه لم يتعلم السنة، فالسنة تقضي بأنه عندما يموت شخص عزيز على الإنسان فعليه أن يقول :مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156]،

اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا.

فهذا هو الدعاء وتلك هي السنة، أما ما تعود عليه الكثيرين فهي البدع (الصراخ والعويل ولطم الخدود)،

_فإذا ما انتهوا من تجهيز الميت واستعدوا للخروج به إلى قبره فما هو السلوك المتبع حسب العوائد والعادات أيضًا؟

فإن كان المتوفى من أصحاب المراكز (ضابط في الجيش أو الشرطة مثلًا) فإن الجثمان يُوضع على عربة لها شكل معين ويسير صفان من الجنود حوله وهم يحملون الزهور ويُصاحب كل هذا موسيقي حزينة إلى أن يصلوا به إلى القبر، أما إن كان شخص عادي فإن الناس يحملون الجنازة ويقولون أقوال بدعية ما أنزل الله بها من سلطان.

_في حين أن الجنازة وحمل الميت لهما سنة لابد من إتباعها كما أن هناك آداب للجنائز وأُخرى عند سماع خبر وفاة شخص ما

_فإذا ما وصلوا للقبر وبدأوا في الدفن فانظروا إلى المصائب والبدع التي ليس لها نهاية التي تحدث عند الدفن وعند القبور

_انتهى الأمر وعاد أهل الميت إلى البيت فما هو المفروض فعله؟

_المفترض أن مَن يُقدم واجب العزاء ينصرف بعد ذلك ولا مجال لطعام ولا لشراب، أما الواقع العملي وخاصة في القرى فإن الذي يحدث هو انتقاد مَن يقوم بدفن الميت ويُقدم واجب العزاء ويود الانصراف كما نصت السنة، فإذا كان والد المرأة مثلًا أو زوجها أو ابنها فإنهم يتهمونها باتهامات باطلة ليس لها أساس لمجرد أنها تريد تطبيق السنة، كما أنهم ينتقدونها لأنها ذهبت

إلى العزاء وهي صامتة لم تُصدر إي فعل كالصراخ أو ضرب الخدود فهذه هي العادات التي يجب أن تتبع لإظهار الحزن وإلا فمن لا يفعلها فليس حزينًا

_فإذا قيل لهم إن السنة هي: أن يذهب المُعَزي إلى أهل الميت وأن يقول لهم: **لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى فلنصبر ولنحتسب** ثم يسألهم إن كانوا يحتاجون إلى شيء فليقضي لهم حاجتهم وإلا فعليه أن ينصرف .

_القائل بهذا يُنتقد من الكثير من المسلمين لأنه يُخالف ما نشئوا وتعودوا عليه، لقد نشأنا ووجدنا الأهل يفعلون ذلك،

_هذه هي العادات التي تحول بين العباد وربهم ثم يأتي الواحد منهم ليقول أنه يُصلي أو أنه ملتزم منذ عشرين عامًا وبالرغم من ذلك لا يجد أي تغيير في سلوكه أو نمط حياته، كل هذه كانت عوائق في الطريق تحُول بين الشخص وبين وصوله إلى الله عز وجل والاسم أنها عادات.

- ومن السنة أيضًا:

أن أهل الميت يكونوا في حالة من الحزن تشغلهم عن صُنع الطعام فمن السنة بأن مَن يأتي إليهم هو مَن يصنع لهم الطعام ويقدمه لهم أما ما يحدث بالفعل فهو على العكس من ذلك، فأهل الميت هم الذين يصنعون الطعام ويُقدمونه لمَن يأتي للعزاء وليس هذا فقط بل أن منهم مَن يصنع الولائم ويتسابقون في ذلك تباهيا وتفاخرا بهذه المظاهر،

_كل هذا ضلال مبين، كيف لأهل الميت وهم يُعانون من الحزن والألم الشديد على فراق هذا المتوفى ثم يُطلب منهم أن يصنعوا الطعام لمَن يأتي للعزاء وقد يصل الأمر إلى الإجبار لأن صورتهم ستكون سيئة أمام

المُعزيين إذا امتنعوا عن تقديم الطعام، فهذه عادات سيئة قد حلَّت محل السنة،

وقد أمر النبي ﷺ المرأة ألا تحد فوق ثلاث للحديث:

أن زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ، تُحَدِّثُ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» **أخرجه البخاري(5339)،أخرجه مسلم(1486)**

إذن لا يجوز للمرأة أن تلبس السواد أكثر من ثلاثة أيام إلا على الزوج فالحداد يكون عليه أربعة أشهرٍ وعشرة أيام (هكذا تقول السنة).

فإذا ما قيل للمرأة السُنة تقضي بهذا وبالتالي فلا يجوز لها أن تلبس السواد على الأب أو الابن أو الأخ وكذا الأم أكثر من ثلاثة أيام فإنها ستتهم مَن يقول لها ذلك بالجنون وتستمر في ارتداء السواد سنة كاملة على الابن وقد تصل هذه المدة إلى عشرون عامًا إذا كان الابن هو المتوفى أو إلى أن تموت.

للمرأة أن تحزن كما تُريد ولكن لا يجوز ارتداء السواد أكثر من ثلاثة أيام

_هذه أمثلة لأقل القليل من بدع الجنائز التي تحدث ولكن هناك بدع كثيرة جدًا تَعَوَدْ الناس على فعلها في الجنائز، فمن أين يأتي الفتح والنصر والالتزام وسُنة النبي ﷺ تُهدم ويُقام مكانها البدع ويُوالي الناس ويُعادون على أساس هذه البدع.

تلك هي بعض العادات المحرمة التي نشأ الناس وتربوا عليها من الخُيلاء والمباهاة والفخر والبذخ والإسراف في الحفلات والأفراح والحزن الشديد فنشأ الصغير عليها وأصبحت حجاب بينه وبين الله.

– ثالثًا: عادات ليست محرمة (ولكنها تمنع من الوصول إلى الله عزوجل).

– مثال خاص بالنساء: الكثير من النساء مِمَن يرغبن في حضور مجالس العلم إذا علمن بمواعيدها التي تكون في أوقات مبكرة في الصباح لا يذهبن لماذا؟ لأنهن يستيقظن في أوقات متأخرة وهذا ما تعودن عليه من سنوات هذه عادة والنوم حلال ولكن انظروا ماذا فعل النوم بهؤلاء، عادة سيئة حجبت عنهن العلم (هناك أناس حُجِب عنهن العلم لأنهن لا يستطعن أن يأخذن القرار بالاستيقاظ مبكرًا هؤلاء كُثر) لم يكن لهن أي مانع من حضور مجالس العلم سوى أن التوقيت غير مناسب فقد اعتادوا النوم إلى أوقات متأخرة ولا يستطعن تغيير هذه العادة ولا نمط الحياة الذي اعتدنه.

– مثال آخر: نحن الآن في شعبان وقد كانت سنة النبي ﷺ كما روتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

_عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنْ صِيَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: " كَانَ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ صَامَ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: قَدْ أَفْطَرَ، وَلَمْ أَرَهُ صَائِمًا مِنْ شَهْرٍ قَطُّ، أَكْثَرَ مِنْ صِيَامِهِ مِنْ شَعْبَانَ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا" **أخرجه مسلم(1156)**

– كلمة (كله) هنا: خرجت مخرج الغالب،

– فما هو المقصود (بمخرج الغالب): فعندما يحدُث أمر بصورة زائدة فإننا نُعبر عنه بقول خرج مخرج الغالب، فقد كان يصوم من أيام شعبان الكثير ولكنه لم يتم صيام شهرٍ قط غير رمضان.

_إذن من السُنة أن نُكثِر من الصيام في شعبان قدر الاستطاعة،

_فإذا قيل للبعض لماذا لا تصوموا؟

كانت الحُجة كالأتي: لقد اعتدت عندما أستيقظ أن أتناول مشروب ثم بعد فترة أتناول الفطور وهذه عادات وطقوس لا أستطيع تغييرها.

فهل تدري أيها المسلم الممتنع عن الصيام بسبب هذه العادة أن صيام يومٍ يُباعد بينك وبين النار سبعين خريفًا كما قال النبي ﷺ؟

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» **أخرجه البخاري (2840)،أخرجه مسلم(1153)**

-وقال الحق تبارك وتعالى: في الحديث القدسي

_عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ " **أخرجه البخاري(1904)، أخرجه مسلم(1151).**

فهل سيُضَيع المسلم كل هذا الفضل لمجرد أنه اعتاد أن يأخذ في الصباح مشروبًا ساخنًا ثم يتناول الإفطار في موعد معين ولا يستطيع أن يُغير هذه العادة (ولا مانع غير ذلك يحول بينه وبين الصيام)

_هذه مجرد أمثلة بسيطة لمَن يخسرون العلم من أجل العادة، وآخرون يخسرون صيام شهر شعبان من أجل العادة أيضًا، وآخرون يخسرون دينهم بالكلية من أجلها أيضًا فقد أقاموا البدع مكان السُنة ولا يستطيعون تغيير ذلك(مسألة العادات من أخطر ما يكون).

– إشكالية: يعتقد البعض أن العادة إذا كانت منتشرة يفعلها الكثيرون، فإن ذلك يُعد مبررًا أو مسوغًا للقيام بها والاستمرار عليها، فإذا كان الكثير من الأهل والأصحاب يفعلها فلماذا يشذ هو؟ ويقول: إنه يجوز أو لا يجوز.

– الرد: المُحَرَّم لا يَحِلْ لمجرد أن الكثير من الناس يفعلونه كما أن ذلك لا يُصحح الفاسد أيضًا، فليس معنى أن المجتمع أقر مسألة الاختلاط ولا يجد فيها مشكلة أن الاختلاط أصبح جائزًا مباحًا، وليس معنى أن الكثير يتعامل بالربا أن الربا أصبح حلالًا فيجوز التعامل به، فإنه من المستحيل أن تُحول العادة الشيء الغير مشروع إلى مشروع لن يحدث هذا أبدًا وعلينا أن نتذكر دائمًا قول ربنا في كتابه العزيز: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116)﴾[الأنعام]

_قال سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)﴾[يوسف]

_قال سبحانه:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (106)﴾[يوسف]

_قال الله عز وجل:﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (100)﴾[المائدة]

_ كل هذه آيات وردت في مواضع متفرقة في كتاب الله سبحانه وقد ورد فيها ذم الكثرة.

فليس معنى أن معظم الناس يفعل أمرًا معينًا وهو حرام أنه سيتحول إلى حلال أو أن الله سيعفو عن القائمين به لكثرة مَن يرتكبونه، ليس هذا برخصة ولا سببًا للمغفرة كما أنه لا يُعد عذرًا أمام الله أن يقوم الإنسان بعمل شيئًا محرمًا أو أن يبتدع لمجرد أنه وجد الكثير من الناس يفعلون ذلك،

_فالكل جاءه الحق وسمع به وعلمه وبالتالي فليس للإنسان عذرًا أمام الله في أن يرتكب شيء محرم أو بدعة أو أي مخالفة يمكن أن تُغضِب الله سبحانه ثم يحتج بأن المجتمع كله يفعل ذلك (هذا ليس بحجة).

_كما أن التشدد والتَّمَسُّك بالعادات القديمة نوع من الغلو والتنطع الذي نهى الدين عنه، فتمسك الإنسان بعاداته وتقاليده وانعدام إرادته في أن يخرج عنها أو أن يتخلص منها يجعله لا يختلف عن الكفار فيما سبق، فقد كانوا على هذه الصورة، كانت عاداتهم وتقاليدهم أفضل عندهم من أي شيء آخر

_هذه بعض العادات السيئة التي أوصلت الناس إلى بدع أو إلى محرمات لا حصر لها.

ثانيًا: العوائق

وهي إما أن تكون شركًا أو بدعةً أو معصية

_فيزول عائق الشرك بتجريد التوحيد،

_ويزول عائق البدعة بتحقيق السنة،

_ويزول عائق المعصية بتحقيق التوبة

فما هو المقصود بهذه الكلمات؟

_مثال: لو أن شخصًا ما يسير بسيارته في طريق فإذا بشجرة كبيرة سقطت على الطريق فأغلقته فهل يمكن لهذا الشخص أن يستكمل سيره في هذا الطريق؟ لن تسير السيارة مرة أخرى ولو ظل يُحاول أيام وأيام،

_أو أنه وجد بعض الناس يضعون أسلاكًا شائكة لتقطع الطريق وتُغلق على المارَّة هذا الطريق، فهذا القاطع يمنع من السير على الطريق،

إذن علينا أن ننتبه: لأن هذه العوائق تحول بين العبد وبين السفر أو السير إلى الله عز وجل، وهذه العوائق يمكن حصرها في ثلاث:

(شرك_بدعة_معصية).

أولًا: الشرك وحتى يتخلص العبد من الشرك فعليه بتجريد التوحيد لله تعالى، وكلما كان التوحيد أكمل وأقوى في القلب واشتد تمسُّك العبد به كلما حَصَلَ له انشراح في الصدر.

وهنا تكمن المأساة التي يشتكي الكثير من الناس منها(الاكتئاب) وأيًا كانت الكلمة (الشعور بالضيق_مخنوق) التي يُعبر بها الشخص عن هذا الإحساس إلا أنه يدور في النهاية حول هذه الكلمة (مُكتئبين)، والمكتئب لايستطيع القيام بأمر الدين ولا أمر الدنيا، وينظر لنفسه على أن ما فيه ليس تكاسُلًا عن الطاعة بل هو عدم قُدرة على القيام بها وليس هذا فقط بل أنه يعجز عن القيام بأمر الدنيا أيضًا فحالة الاكتئاب منعته من الطاعة ومن الأعمال الحياتية،

_سبب الاكتئاب يكمن في ضيق الصدر وعدم انشراحه والذي يرجع إلى ضعف التوحيد في القلوب.

خمسة أمور ينشرح بها الصدر:

من أعظم الأسباب التي ينشرح بها الصدر **أولا: الهدى و ثانيا: التوحيد**

كما أن من أعظم أسباب ضيق الصدر **الشرك والضلال.**

_وكلما كان الإنسان في ضلال أو في بدع أو لديه عوائد مُحرمة أو علائق فكلما زادت هذه الأشياء كلما زاد ضيقه، وفي المقابل كلما خفَّت هذه العوائد والعوائق من القلب كلما انشرح صدره.

_إذن الهدى والتوحيد من أعظم الأسباب لانشراح الصدر، فالهدى يكون إلى الصراط المستقيم، والتوحيد يكتمل في القلب فلا يكون فيه نقص

_فالإنسان عندما يُحقق التوحيد والهدى فكأن نورٌ يقذفه الله سبحانه وتعالى في قلبه، وكلما زاد التوحيد كلما قُذِف في قلبه النور، وبالتالي ينشرح الصدر

_الإشكالية : أن الشخص الذي يشعر بالاكتئاب يلجأ إلى التَّخَلُّص من الضيق بارتكاب معصية

_مثال: شخص يشعر بالضيق فماذا يفعل؟ يذهب لإشعال سيجارة فإذا لم يشعر بتغيير فإنه يذهب إلى دور السينما لعله يقضي وقتًا مع الأصحاب أو الأهل ويرحل عنه هذا الضيق، هذا هو الجهل وتلك هي المأساة حيث أنه لجأ لعلاج المصيبة بمصيبة أخرى، والمصيبة الأخرى قد تكون مُسكنًا ولكنها ليست علاجًا، وهذا يُشبه حالة إنسان درجة حرارته مرتفعة وإذا بالطبيب يكتب له علاجًا خافضًا للحرارة في حين أنه مُصاب بفيرس ويحتاج إلى العلاج ولكن الطبيب لا يقوم بعلاجه ولذلك فبعد فترة سترتفع درجة حرارته مرة أخرى، ويظل هكذا ما لم يُعطيه الطبيب العلاج الصحيح، وكذلك القلوب يملأها الهم والغم والضيق، والاكتئاب يملأ الصدور والسبب في كل هذا يعود إلى ضعف التوحيد وعدم الهدى

_فبالتوحيد والهدى يقذف الله في قلب الإنسان نورًا وهذا النور ينشرح به الصدر وتطمئن به النفس وليس بالأسباب

انتبهوا : لأن الكثير ممن يشعرون بالاكتئاب يلجئون إلى أحد أمرين:

1_إما الطبيب النفسي الذي يصف لهم علاجًا للاكتئاب

2_وإما يُسارعون إلى ارتكاب معصية (كما سبق القول) ظنًا منهم أن بها ستزول عنهم حالة الاكتئاب،

_يفعل المكتئب ذلك ظنًا منه أنه سيخرج من حالة الاكتئاب إلا أنه بعد ارتكاب المعصية ستزداد حالة الاكتئاب ولكن لا يحدث هذا بصورة مباشرة لأن الشيطان أذكى من ذلك كما أن هناك مكرٌ من الرب تبارك وتعالى بالعاصي فإذا ما وقع الشخص في المعصية فإنه سيشعُر بانشراح لفترة بسيطة فلابد من هذا لماذا؟

_لأن هذا نوع من أنواع الفتنة لهذا الشخص ولكن سُرعان ما سيزول هذا الانشراح فيبحث عن معصية أخرى ليفعلها وهكذا إلى ما لا نهاية لماذا؟

_لأن انشراح الصدر لن يأتي بارتكاب المعاصي (الذهاب إلى السينما_أو التسوُّق_أو مكالمة على الهاتف_السيجارة_ فعل مُحرَّم _أو خروج مُحرَّم)

_ولكنه نور يُقذف في القلوب وليس له شأن بالأسباب مُطلقًا بل أن مفعول الأسباب مفعول وقتي لن يدوم وسُرعان ما يزول

_والنور الذي يقذفه الله في القلوب يكون بحسب ما لدى الإنسان من الهدى والتوحيد فيأتي انشراح الصدر، والعكس صحيح فكلما ضعف الهدى بعدم المُضي على طريق الاستقامة والانحراف عنه وفي نفس الوقت التوحيد لديه ضعيف هنا يحصُل الضيق في الصدر والاكتئاب ومهما أوتي من أسباب السعادة فلن يشعر بها

فما هو المقصود بضعف التوحيد: أي أن معبود العبد ليس الله وحده بل أنه يعبد الله ويعبد معه أشياء كُثُر(اهتماماته ما يحبه من أشياء).

ثالثا: العلم من أسباب انشراح الصدر(العلم الشرعي):

_ فكلما ازداد علم الإنسان كلما ازداد انشراح صدره لأنه علمٌ عن الله ورسوله ﷺ (العلم النافع)، وكلما ازداد جهل الإنسان كلما أورثه هذا ضيقٌ واكتئابٌ في الصدر وحصرٌ وحبسٌ للنفس وكأن نفس الجاهل محبوسة خلف قضبان من الجهل

_إن أهل العلم هم أكثر الناس انشراحًا للصدر وأكثرهم نورًا في القلوب وطمأنينة وسكينة كلما زاد العلم، علمٌ عن الله ورسوله ﷺ

_مثال: لو أن شخصًا ما شعر بالضيق ثم ذهب ليأتي بكتاب الله ونظر فيه وقرأ ولو صفحةً واحدة منه ثم أتى بكتاب من كتب التفاسير وقرأ تفسير ما قام بقراءته في الكتاب العزيز تُرى ماذا سيكون حاله بعد ذلك؟ فهذا القارئ لكلام الله تعالى إذا كانت نيته في ذلك إرادة العلم عن الله وفهم كلامه و معانيه والعمل بها وإذا كانت الآيات تحمل أمرًا أو نهيًا فامتثل وانتهى فكل ذلك يحقق له حتمًا انشراح الصدر.

_ثم يستكمل ما بدأ بحديث لرسول الله ﷺ وتفسيره أيضًا وبعد هذا عليه أن ينظر إلى حال صدره بعد قراءة الآيات والحديث؟ فإنه سيجد تغييرًا ولا بد، وحتى لو كان هذا التغيير غير كامل ولكن حتمًا سيكون هناك تغييرًا في الصدور.

_ وإذا كانت النية في قراءة كتاب الله عز وجل هي التقرب إلى الله وفهم كتابه ومعرفة معنى كلام النبي ﷺ فهل سيبقى في الصدر ضيق؟

_إذن العلاج ليس في مشاهدة التلفاز ولا الذهاب إلى الأسواق أو دور السينما أو غير ذلك فكلها مُسكنات ستؤدي إلى السقوط والضيق أضعاف أضعاف ما سبق.

_ولكن العلاج في العلم النافع الذي تصحبه النية الصادقة وهي شرط في حصول النفع لأن البعض من طلاب العلم الآن سيقولون أنهم يطلبون العلم منذ سنواتٍ وسنوات ولكنهم لا يجدون أي تغيير سواء انشراح للصدر أو غيره

_عليهم أن يُراجعوا حساباتهم مع ربهم ويبحثون عن نواياهم المصاحبة لطلب هذا العلم ويسألون أنفسهم ما هو سبب طلبهم للعلم

_فأهل العلم دائمًا ما نجدهم هم أوسع الناس صدورًا وقلوبًا وأحسنهم أخلاقًا وأطيبهم عيشًا، حال صاحب العلم مختلف فله سمت وهدي سيعرفه الجالسون عندما يمنَّ عليهم ربهم بهذا العلم

رابعًا: محبة النبي ﷺ

والمقصود هو المحبة الحقيقية وليس الادعاء كما يفعل البعض لأن الكثيرين يدَّعون هذه المحبة ولكن الحب الحقيقي له شرط وهو الاتباع للمنهج الذي وضعه النبي ﷺ لأمته،

_قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾[آل عمران]

_فيكون الشخص في حالة دائمة من البحث عن السُنة حتى يُقيمها ويُحييها وفي نفس الوقت يهدم البدعة وهذا هو الإحلال والتبديل، فيمحو العادة والبدعة والمحرم ويُحيي محل كل هذا سُنة النبي ﷺ (تعاملاته _عباداته_ أسلوب حياته) فيحيا القلب بالسنة

_فهذا من أقوى وأعظم الأسباب أيضًا التي تؤدي لانشراح الصدر (محبة رسول الله ﷺ أي إحياء السنة وهدم البدعة)

_وعلى كل مسلم أن يسعى بكل ما أوتي من قوة كلما وجد بدعة لهدمها وكلما وجد سنة أقامها وعمل على نشرها

_إذن محبة النبي ﷺ تعني إتباعه والسير على نفس طريقه وكلما قال شيئًا قيل سمعنا وأطعنا،

_فكل ما أحبه النبي ﷺ وكل ما أمر به علينا أن نأتمر به وكل ما نهى عنه علينا أن ننتهي عنه لماذا؟ لأنه لا يأمر إلا بما يُحبه الله ويرضاه كما أنه لم ينه عن شيئًا إلا وكان الله يبغضه، فهو المبلِّغ عن الله سبحانه وتعالى.

خامسًا: تعظيم الأمر والنهي

_فتستقيم القلوب بتعظيم الأمر والنهي فكلما ازداد حب الله في القلب وعلا كلما عظُمَ على النفس الأمر والنهي الآتيان من عند الله، فإذا جاء الأمر من عند الله فلا يسع النفس إلا أن تمتثِل له بل أنها تُسارع إلى الانقياد والتنفيذ، وإذا جاء نهيٌ فلا يمكن أن يقع في هذا المُحَرَّمْ أو المكروه،

_كيف نحقق التعظيم للأمر والنهي؟ يتحقق بمقدار مافي قلب الإنسان من الوقار لله عز وجل، لذلك فقد ذم الله عز وجل العباد الذين لا يُعظمون ولا يُوقرون الله تعالى، فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (13)﴾[نوح]

فأين توقير وتعظيم وإجلال الملك، فملك الملوك هو الله!

فأين تعظيم الله سبحانه في قلوب العباد الذين يسيرون أناء الليل وأطراف النهار وهم يقترفون المعاصي والذنوب والأمر لا يُمثِّل بالنسبة لهم أي شيء، فالذنب والمعصية أصبحوا من أسهل ما يكون.

ثانيًا: كيف تزول البدعة؟ تزول بتحقيق السنة.

فلا يجوز للعبد أن يبتدع في دين الله ويستمر على هذا الابتداع ولا يكترث بالأمر والنهي الإلهي.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)﴾ [المائدة]

فصاحب البدعة إذا قيل له أن ما يفعله هذا حرامٌ شرعًا وغير جائز وبيننا وبينك كتاب الله وما قال فيه:_

قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (23)﴾[الزخرف]

يحتج المبتدع بما كان عليه حال الآباء والأجداد، أو يقول: يكفينا ما وجدنا عليه الآباء والأجداد والأسلاف من العادات، ولا يهتم إذا ما كان على بدعة أم لا.

فإذا قيل له: ولكن أمر البدعة خطير وصاحبها منبوذ متروك مُبْعَدْ، لم يؤثر فيه هذا الكلام لأنه لم يدرس علمًا وبالتالي لم يعلم خطورة البدعة على دينه ومعتقده.

_مثال: وقوع الكثير من الناس في أمور السحر والشعوذة عندما يتعرض لمشكلة ما، فإنه يقول ألجأ إلى شيخ لعلي أجد لديه حلًا لهذه المشكلة (يُعاني من السحر)،

في حقيقة الأمر هذا ليس شيخًا ولكنه عرَّافًا كاهنًا يُضلل مَن يذهب إليه ويُوقعه في الشركيات والبدع ويُفسد عليه حياته،

يجب أن تعلم أن حل السحر يكون بالشرع وما أمر الله وبما جاء في كتاب الله وما قال النبي ﷺ، وليس بالشركيات والذهاب إلى كاهن كذَّاب أو عرَّاف دجَّال وسؤاله والوقوع في ضلالات ما أنزل الله بها من سلطان والحجة أنه يُعاني من السحر، فإذا أراد أحد أن ينصح هذا الشخص بعدم فعل ذلك أو تصديقه قال: هذا هو ما كان يفعله الأهل فيما سبق.

_مثال آخر: **القبوريون (عبَّاد القبور)**

_تُرى ماذا يفعل الواحد منهم إذا شعر بضيقٍ في صدره؟ يذهب لزيارة أي مسجد من المساجد المشهورة والتي بها قبر أحد الصالحين (الحسين_السيدة نفيسة_وهكذا) المهم أن يذهب إلى أي ضريح أو قبر فإذا ما قام بهذه الزيارة خرج من هناك وهو يشعُر بانشراح صدر لا يُوصف (لاشك أن هذا ضلال مبين _وفتنة شديدة جدًا)

_لأن السيدة نفيسة أو الحسين أو أي مقبور هو في أشد الاحتياج إلى دعوة من الشخص الحي فالميت قد قُطِع عمله بموته إلا من ثلاث (صدقة جارية_ولد صالح يدعو له_علم يُنتفع به)، ولذلك فإن هذا المقبور هو في أشد الحاجة إلى الحسنة من الأحياء ولا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فكيف سينفع مَن جاء يدعوه ويطلب منه وهو على هذه الحال؟؟!!، ثم يحتج مَن يفعل ذلك بأنه وجد الآباء والأجداد يصنعون نفس الصنيع وهذا هو شعارهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾ كما كان شعارهم في الجاهلية.

و هذا لا يجوز لأنه من الشرك ثم بعد الوقوع في هذه الشركيات لا يُرضي الله عز وجل، وبعد الوقوع في هذه الشركيات يعود الشخص بعد هذه الزيارة وما فيها من مخالفات وهو مُنشرح الصدر وهذه فتنة لمَن يفعل ذلك ومدخل شيطان حتى يستمر في فعله لهذا الضلال،

_فأي انشراح صدر هذا الذي يأتي من وراء زيارة قبر والتمسُّح به والتوسل بالميت؟ هذا الميت الذي لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا أي شيء بل هو مَن يحتاج إلى أي حسنة وإلى الدعاء له

_قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (112)﴾[هود]

لقد أمر ربنا نبيه ﷺ بالاستقامة على الأمر والنهي، ويشمل الأمر المؤمنون الذين معه.

_ثم قال ولا تطغوا : والطغيان يعني: مجاوزة الحد

_ومجاوزة الحد هذه قد تكون ببدعة أو بمعصية

_نهى الله عباده عن مجاوزة الحد(الطغيان) وبالرغم من ذلك فإنه يقع من المسلمين ليلًا ونهارًا فهم يتجاوزون حدودهم مع الله بالمعاصي والبدع والشركيات وكل هذه عوائق تحول بينهم وبين الوصول إلى رب العالمين والأيام تَمُرُ والأعمار تنقضي والكثيرون لا يعرفون كيف الوصول والسبب هو كل هذا الأمور التي تضع الحواجز على الطريق.

_قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)﴾[النساء]

_لقد أمر الله عز وجل عباده بطاعته وطاعة نبيه ﷺ، ولهذا فإن الإنسان عندما يصطدم ببدعة ويريد التخلص منها فلن يتخلص منها إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ لتحكيمهما في الأمر(لأننا مأمورون بطاعة الله واتباع النبي ﷺ) فإن لم يقم بتحكيم الكتاب والسنة في هذا الموقف فإنه حتمًا سيُصِر على البدعة،

_مثال: حدث تنازع بين طرفين أحدهم يتهم الآخر أنه قائم على بدعة والآخر ينفي ذلك فكيف نفصل في الأمر؟

_الحل هو: العودة إلى كتاب الله وسنة النبي ﷺ والنظر فيهما ونبحث هل هذا الشخص فعلًا قائم على بدعة أم أنه مُقيم للسنة؟ وهل أمره ربه بهذا أم أن هذا ابتداع منه ؟ وفي آخر الأمر إذا كان هذا الشخص قائم ببدعة بالفعل ولكنه ليس صاحب هوى فإنه سيُذعن ويتوب ويعود إلى الحق،

_أما إن كان صاحب هوى فلن يُذعن مهما أوتي من أدلة على بدعته.

ثالثًا: المعصية تزول بالتوبة.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)﴾[الروم]

_الفساد: أي المعاصي فقد ظهرت في البر والبحر والسبب (بما كسبت أيدي الناس) أي بذنوب الناس ظهر الفساد في البر والبحر.

يقول ابن الجوزي في المقصود بالفساد:

1- قيل المقصود بالفساد هو: نُقصان البركة 3- وقيل: الشرك

2- وقيل :ارتكاب المعاصي 4- وقيل: قحط المطر

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)﴾[الرعد]

_قول جماهير العلماء في الآية: إن الله لا يُغير ما عند الإنسان من النعم والإحسان ورغد العيش وكل ما هو فيه من الخير إلى الكفر والضلال إلا بأمر هو مَن قام به

مثال: شخص يقول: لقد كنت أشعر أن درجة إيماني مُرتفعة جدًا ولكن فجأة وجدت نفسي انتكس وأتراجع وما كنت أفعله بالأمس من طاعات كطلب العلم وغيره بدأت أتركه، كما أن حفظ القرآن بدأ يتفلت مني وهكذا

_يمكن القول: بأن كل هذا الحرمان من الخير هو نتيجة ارتكاب الذنوب، فالتغيير من الإيمان وعلو الهمة والارتقاء وحفظ القرآن وقيام الليل وإخلاص في العمل إلى الحرمان من كل هذا جاء بالذنوب وعدم معرفة قيمة النعم التي منَّ الله بها عليه ولم يُحافظ عليها فقد كانت تُحيط به ولكنه لم يرعاها،

_أيضًا : كل هذه النعم التي منحها الرب للعبد كانت تستوجب منه الشكر لكن بدلًا أن يشكر الله على نعمه فيزيد في فعل الطاعات قابل هذه النعم بالمعاصي فسُلِبت منه نعم الله عليه (إن الله لا يُغير).

_مثال آخر: شخص كان بالأمس القريب لديه من المال الكثير ولكنه اليوم لا يجد قوت يومه فما السبب؟

_بالبحث في أحواله لابد أن نجد البذخ والإسراف والتبذير وربما يكون المال نفسه مال حرام.

_إذن: فإن أي خير يكون الإنسان فيه من إيمان _تقوى_إقبال على الله _حفظ قرآن _انشراح صدر للعلم، إذا سُلِب هذا الخير كله أو بعضه (فليس لزامًا أن يسقط بالكلية ولكن درجته الإيمانية هبطت وكلٌ منَّا أعلم بحال نفسه) فقد يشعُر أحدنا أنه ارتقى بإيمانه إلى مكانة عالية ثم بعد ذلك هبطت هذه المكانة نوعًا ما وفعلًا هو مازال مُتماسكًا ولم يسقط كُليًا ولكنه

يشعر أنه نزل عن المكانة التي كان قد ارتقى إليها فما هو سبب هذا النزول؟

لابد من مراجعة حسابات النفس مع الله لأن الله لا يُغير إلا بعد أن يتغير العبد نفسه، فمن المستحيل أن تُسلب من العبد نعمة سواء إن كانت هذه النعمة في دينه بتوفيقه للطاعة أو في دنياه بمال أو رزق إلا بصنيع نفسه

_والعكس فإذا كانت لديه معصية وأراد أن يُغيرها إلى طاعة فلابد أن يأخذ هو أولًا بالأسباب، فعليه أن يُغير من نفسه ومن محبته للمعصية إلى بُغض لها وذلك بعلم شؤم المعاصي ومآلاتها في الدنيا والآخرة ويحمل نفسه على الطاعة

_وهنا يُغير الله ما عنده من المعصية ويُبدله مكانها بالطاعة، يُغير ما عنده من ضيق صدر وهم وغم ويُبدله انشراحًا في صدر وطمأنينة نفس ويقذف النور في القلب، الإنسان هو الذي يبدأ بالتغيير من نفسه فإما إلى أسوء وإما إلى أحسن ثم يُعطي الله لهؤلاء وهؤلاء وكلٌ بحسب إقباله على ربه

_قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾[المطففين]

_الآية نزلت في الكفار ولكن وكما قال أهل العلم : في الآية تخويفًا للمؤمنين لأن الرَّان عندما غطى قلوب الكفار لم تُجدِ معهم أي موعظة ومن الممكن أن يصل المسلم إلى هذه المرحلة إذا اسود قلبه ولم يتعهده بالاستغفار حتى يُزيل ما به من سواد فمرة بعد مرة يزداد السواد إلى أن يُغطي على القلب، فعدم تعظيم حرمات الله وأوامره يحول بينه وبين التوبة فتظل الذنوب وتبتعد التوبة، فتبقى الذنوب وتبعُد التوبة، والذنب على الذنب يخلق طبقة من الرَّان وتغطي القلب وتتوارى التوبة وتبعد أكثر فأكثر، وكلما ازدادت الذنوب كلما ازدادت المسافة بعدًا عن التوبة فتصعُب على العبد،

ومن المُحال أن يكون القلب خاليًا من توقير الله وتعظيمه والخوف منه ثم يوجد في هذا القلب نوع من أنواع الإقبال أو المحبة لله عز وجل

_شخص لا يُحب الله أو حُبه ضعيف وكذا توقيره لله ضعيفًا وإقباله على المعاصي يكون بمنتهى اليُسر وعمله للطاعة يكون بشدة وثِقَل عجيب

_فهل هناك شخص يتصف بهذه المواصفات ثم يجد تيسير وتوفيق من الله بالتأكيد هذا صعب فقد جاء في الحديث مَن تقرَّب إلى ربه شبرًا، فالبداية لابد أن تكون من العبد

_و أما أن يعتقد الإنسان العاصي أنه لن يُعاقب على معاصيه ويغتر بما عنده من بعض الطاعات أو إمهال الله له ويتصور أنه لن تكون هناك عقوبة فيتمادى في معاصيه إلى أن يصل إلى مرحلة الران

_وكلما زادت معاصي العبد كلما رُفعت المهابة من قلوب العباد نحوه وأصبح من السهل إهانته وتجرؤ الناس عليه فلا توقير ولا إجلال له من الناس

_وكلما ازدادت طاعة العبد لربه وإقباله عليه كلما جعل الله في قلوب الناس نحوه مهابة وحب وإكرام وإجلال، فهذا يكون بحسب ما عنده من محبة وخوف وإجلال لله عز وجل، فلا يُهينه أحد ولا يتجرَّأ عليه ولا يُسفهه

_سؤال: ولكن هناك بعض من أهل الطاعة يحدُث لهم خلاف ذلك؟

_بالفعل ولكن: موقفًا أو اثنين وقد يكون ثلاثة وليس دومًا ويكون على سبيل الابتلاء والامتحان والفتنة، أما الغالب على أحوال أهل الصلاح والطاعة والإيمان وأصحاب القلوب الطاهرة والعقول النَّيرة المليئة بحب الله هو تعظيم ومحبة قلوب الناس لهذا الشخص وتعلُّقها به رغم عدم وجود نسب أو مصالح بينهم وبينه ولكنه حبٌ من عند الله قذفه في قلوبهم نحو

هذا الشخص الصالح الطائع الحافظ لأوامر الله في السِر والعلن، وباطنه أفضل من ظاهره، وخشيته لله في السر كخشيته له في العلن،

_ فهذا الشخص الذي استقام في الظاهر والباطن على أمر الله وليس نفاقًا في المقابل يجعل الله قلوب الناس تُحبه وتهابه وتخافه بقدر ما عنده من محبة وخوف وتعظيم لملك الملوك جلَّ جلاله وتقدست أسمائه

علينا أن ننظر لأحوال الأقوام السابقة وكيف نزلت عليهم عقوبات الله – سبحانه وتعالى– وتنوعت.

_فقد سلط الله سبحانه الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على سطح الأرض كأعجاز النخل

_قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7)﴾[الحاقة]

_فدمَّر الديار والحرث والزرع بهذه الريح الشديدة، كانوا إذا جاءهم النبي أو الرسول ليدعوهم إلى التوحيد وعبادة الله سبحانه إذا بهم يأبون إلا الشرك والكفر فأنزل الله عليهم تلك العقوبة، ريحٌ جاءت من عند الملك القوي القدير فلم تُبقِ لهم أثرًا وأبيدوا عن آخرهم.

_قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (67)﴾[هود]

ولقد أرسل الله سبحانه وتعالى على قوم ثمود الصيحة فقطعت قلوبهم وأجوافهم فأصبحوا موتى.

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (81)﴾[الأعراف]

_وقوم لوط الذين أصروا على أفعالهم الخبيثة المنكرة التي تُغضب الله بالرغم من نهي نبيهم لهم عن هذه الأفعال والتي لم يسبقهم أحد إليها فقد انتكست فطرتهم بإتيانهم الرجال من دون النساء وجعلوا منزلتهم أحط وأحقر من الحيوانات فالذكور منها لا تأتي إلا الإناث إذا أرادت التزاوج.

فنزلت العقوبة وأنزل الله إليهم الملائكة لترفع القرية بأكملها لدرجة أن الملائكة كانت تسمع نباح كلابهم وبعد أن رفعوها جعلوا عاليها سافلها ثم أتبعوا ذلك بإلقاء الحجارة عليهم من السماء أمطرت على هؤلاء الظلمة فدمرتهم تدميرًا وكل ذلك بسبب التجرؤ على الذنوب، فاجتمعت عليهم عقوبات الدنيا والآخرة.

_ومن الممكن أن يُمهل الله عباده ويتركهم لفترة ولكن ليس هذا هو ما يحدث دومًا، فيُمهل الله الإنسان فإذا استمر على معاصيه أخذه أخذ عزيزٍ مقتدر

_فأي متعة هذه وأي استفادة حصَّلها هذا العاصي وكم كان زمن المعصية؟ لا شيء يستحق هذا.

_قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (189)﴾[الشعراء]

ولقد أرسل الله على قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل حتى إذا كانت فوق رؤوسهم سقطت عليهم وأمطروا نارًا

وهكذا كل هؤلاء القوم تسلطت عليهم كل أنواع العذاب وصنوفه فما السبب؟ الذنوب والإصرار عليها وعدم التوبة وعدم الإقبال على الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31)﴾ [النور].

- **الخطاب مُوَجَه للمؤمنين وليس للعصاة وهنا وقفة:**

- جميعًا: لفظ من ألفاظ العموم فإذا دخلت عن النص فإنها تَعُم،

_إذن فالكلام يعني أن كل المؤمنين يحتاجون إلى توبة وهل لدى المؤمنين ذنوبًا، الكُل لديه ذنوبًا ظاهرة كانت أو خفية والكل يحتاج إلى التوبة وقد كان النبي ﷺ يستغفر في اليوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة.

ثم قال لعلكم تفلحون : فَعَلَّق الفلاح والعطاء والنجاة بالتوبة، فلا فلاح ولا نجاة ولا رضا ولا خير في الدنيا والآخرة إلا بالتوبة النصوح، توبة حقيقية ليس فيها شوائب، فيتوب الإنسان من العلائق، والعوائد والعادات السيئة التي يمكن أن تُفضي به إلى عذاب الله، يتوب من العوائق التي يمكن أن تحول بينه وبين الوصول وإنفاذ أمر الله ورسوله.

_يتوب من هذه الثلاثة حتى يعرف كيف يتعامل مع الله، وكيف يعبد الله على بصيرة، فالكل يحتاج إلى القلوب الصافية والعقول النيرة وأبدان قوية تقوم بطاعة الله.

- انتبهوا : لأن الأبدان والقلوب والعقول تَضْعُف بالمعاصي،

_لابد أن تُزال كل هذه الأمور(علائق_عوائد_عوائق) وتُدفع بكل ما أوتي العبد من قوة وبالاستعانة بالله وحُسن التوكل عليه في إنفاذ ما يريد

_فأحيانًا يود الشخص أن يفعل أشياء كثيرة ولكنه يعجز لماذا؟

_لضعف التوكل، أما إذا كان لا يريد فلن يستعين بالله.

فإذا استعان الإنسان بالله ولكنه عجز عن تحقيق هذه الأمور فعليه أن يعلم أن توكله ضعيف، ولا يعتقد أن السبب هو الضعف في البدن أو القلب أو العقل لأن ضعف هذه الأشياء جاء من تراكم الذنوب والمعاصي والبعد عن الله وعدم الصدق في التَّقرب إليه، فالجميع يحتاج إلى الصدق وحتى لا تمُر الأيام والسنوات والأعمار دون أي فائدة.

_لابد من المسارعة إلى التوبة ولا تجعلوا الشيطان يوسوس ويُصعِّب الأمر، فالإشكال أن الإنسان إذا أراد التوبة فإنه يجد الشيطان يقف له بالمرصاد ويُعيقه عن هذا (لا _ليس أنت_الأمر صعب عليك_لن تستطيع_انتظر لفترة_فيما بعد)تلك كلمات شديدة وحواجز وعقبات يضعها أمام الإنسان ويملأ بها عقله ويجعله يعتقد أنه لا يستطيع وكل هذا من أجل أن يمنعه عن التوبة، ولكن باب التوبة مفتوح والرب كريم ولو تاب إليه العبد لأعانه على ذلك ولو سأله لأعطاه فهو الكريم القريب المجيب، لكن قلوب العباد تحتاج إلى تغيير وعقولهم لابد أن تفهم عن الله حتى يعيشون في سلام في الدنيا وطمأنينة وانشراح صدر بحب الله والقرب منه والأنس به.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُزيل عنَّا العلائق والعوائد والعوائق ويُيسر لنا أمرنا وأن يتب علينا.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

==========